سلسلة كتيبات شبكة بينونة

نعمة الاتحاد

و أسباب المحافظة عليها

الشيخ
د. محمد بن غيث غيث
حفظه الله

@baynoonanet

www.baynoona.net

يسرُّنا في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

أن نقدّم لكم

نعمة الاتحاد

و أسباب المحافظة عليها

تأليف

الشيخ د. محمد بن عيث عيث

حفظه الله

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

|| إن الاتحاد هو السبيل الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار لشعبنا وحماية مقدراتنا وتوفير الحياة الأفضل لمواطنينا بما يكفل مواجهة الأطماع التي تحيط بنا من كل القوى المتصارعة ||

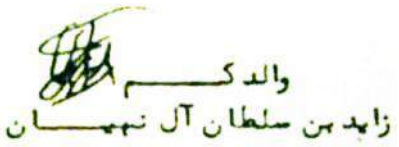

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، أَمَّا بَعْدُ:

فلا يخفى ما كانت عليه بلادنا المباركة في الزمن القريب الماضي من عوز وشظف في العيش، وفقر وقلة ذات يد، مع اختلاف وتفرق، وشتات وتنازع، وجهل وتخلف، ومعرفة هذا تعين على شكر النعم، وذكرها، والمحافظة عليها، والشكر أعظم سبب لدوام النعم، وزيادتها، فالنعم إذا ذكرت شكرت، وإذا شكرت زادت ودامت، وقد أمر الله تعالى بذكر النعم وشكرها، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ﴾ [فاطر: 3]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: 11].

قَالَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله: "ذِكْرُ النِّعَمِ شُكْرُهَا"[1].

وقال الجُرَيري رحمه الله: "إِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِنَ الشُّكْرِ تَعْدَادُ النِّعَمِ"[2].

وقال بكر بن عبد الله المزني: "كن عدادا لنعم الله، فإنك إن أحصيتها كنت قمنا أن تشكرها، وإذا نسيتها كنت قمنا أن تكفرها"[3].

وعَنْ أَبِي الْحَوَارِي، قَالَ: "جَلَسَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ يَتَذَاكَرَانِ النَّعَمَ، فَجَعَلَ سُفْيَانُ يَقُولُ: «أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كَذَا، فَعَلَ بِنَا كَذَا، فَعَلَ بِنَا كَذَا»"[4].

قال الْنَهْرَجُورِيّ: "لَا زَوَالَ لِنِعْمَةٍ إِذَا شُكِرَتْ، وَلَا بَقَاءَ لِنِعْمَةٍ إِذَا كُفِرَتْ"[5].

ومن هذا المنطلق نذكر نعمة اتحاد دولتنا، وما من الله تعالى بسببه علينا، فإن الاتحاد والوَحدة والجماعة من أكبر نعم الله سبحانه على العباد، وهو من أعظم مقاصد ديننا الحنيف، ففيه الأُلفة والقوة، وانتظام أمور الملة، بل به يقام الدين،

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح(36234).

(2) رواه أحمد في الزهد ح(2145).

(3) ربيع الأبرار (5/ 278).

(4) رواه البيهقي في الشعب ح(4138)، وابن أبي الدنيا في الشكر ح(114).

(5) رواه البيهقي في الشعب ح(4138).

وتحفظ الدنيا، وتحل البركة، وتتم النعمة، والخير يذكر ليشكر، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ أُبْلِيَ[1] بَلَاءً فَذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»[2].

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ على هذا المنبر: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ. وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وَنَتِيجَةُ الْجَمَاعَةِ: رَحْمَةُ اللَّهِ، وَرِضْوَانُهُ، وَصَلَوَاتُهُ، وَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَيَاضُ الْوُجُوهِ. وَنَتِيجَةُ الْفُرْقَةِ: عَذَابُ اللَّهِ، وَلَعْنَتُهُ، وَسَوَادُ الْوُجُوهِ، وَبَرَاءَةُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْهُمْ"[4].

ودليل هذا من كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: 103].

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: 105].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 159].

وقالت أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَلا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ، قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ، وَتَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 159] [5]".

فالفرقة عذاب وفشل، وضعف وفتن، وشتات ومرتع شيطان، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ»[6].

---

(1) أي أنعم عليه بنعمة وأُعطي عطاء.

(2) رواه أبوداود ح(4814).

(3) رواه أحمد ح(18449).

(4) مجموع الفتاوى (1/ 17).

(5) اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف لأبي موسى المديني ح(139).

(6) رواه الترمذي ح(2165).

ولذلك كان لزوم الجماعة وترك الفرقة عقيدة يدان لله تعالى باتباعها، قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا"[1].

وقال ابن مسعود ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهَا حَبْلُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَمَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ"[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "قَضْمُ الْمِلْحِ فِي الْجَمَاعَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكَلِ الْفَالَوْذَجِ فِي الْفُرْقَةِ"[3].

وقال لسماك الحنفي: "يَا حَنَفِيُّ: الْجَمَاعَةَ، الْجَمَاعَةَ، إِنَّمَا هَلَكَتِ الأُمَمُ الْخَالِيَةُ بِتَفَرُّقِهَا، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: 103]"[4].

وقد أثنى النبي ﷺ على سبطه وريحانته الحسن ﷺ لقوله: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[5].

وذلك أنه تنازل عن الملك لمعاوية ﷺ من أجل لم الشمل، وسميت تلك السنة بعام الجماعة.

وقد كان مجتمع المدينة قبل مَقْدم النبي ﷺ متفرقا قد مزقته الفتن، ومسك اليهود فيه زمام الأمور، وكانت قاعدتهم في التعامل مع أهل المدينة من الأوس والخزرج: "فرّق تَسُد"، فكلما تقارب الحيان فرقوهم وأشعلوا الحروب بينهم!!

فجاء النبي ﷺ إلى هذا المجتمع المشتت فبناه بالإيمان، وغرسه بالمحبة والأخوّة، حتى إن الصحابة رضي الله عنهم ورث بعضهم بعضا، وكان حالهم كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

وكان مثلهم كما قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَثَلِ جَسَدٍ وَاحِدٍ»[6].

وقوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[7].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ص(205).

(2) رواه الآجري في الشريعة ح(17).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان ح(7115).

(4) رواه ابن أبي حاتم في التفسير ح(3920).

(5) رواه البخاري ح(2704).

(6) رواه الطبراني في الكبير (21/ 189).

(7) رواه مسلم ح(2586).

وقد ذكر الله ذلك بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ [آل عمران: 103].

فلما تآلفوا واجتمعوا على الإيمان تحرك الحسد في قلوب أعدائهم _ وهذه سنة ماضية في كل الأزمان، وهي أن الأعداء لا يحبون اجتماع المسلمين وتوحد صفهم، لأن فيه درءاً للفتن، وإبعاداً لكل متربص، فالبيت إذا كان متوحدا فلا خوف عليه، والأعداء حالهم مع المسلمين كما قال تعالى: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[آل عمران: 118].

أي لا يقصرون في إيصال الضر بكم، ويحبون ما يشق عليكم، وقد وصف الله حالهم بقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: 105].

هذه سنة ماضية، ففي السيرة عن زيد بن أسلم قال: "مَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عَظِيمَ الْكُفْرِ، شَدِيدَ الضِّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأُلْفَتِهِمْ وَصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الإِسْلامِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ مَلأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلادِ، وَاللهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ. فَأَمَرَ فَتًى شَابًّا مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الأَشْعَارِ. وَكَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَكَانَ الظَّفْرُ فِيهِ لِلأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ، فَفَعَلَ، فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا، حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلانِ مِنَ الْحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكَبِ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ الأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلِمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ وَاللهِ رَدَدْنَاهَا الآنَ جَذَعَةً. وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا، السِّلاحَ السِّلاحَ، مَوْعِدُكُمُ الظَّاهِرَةُ –وَالظَّاهِرَةُ: الْحَرَّةُ–. فَخَرَجُوا إِلَيْهَا وَتَحَاوَرَ النَّاسُ، فَانْضَمَّتِ الأَوْسُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَالْخَزْرَجُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى دَعْوَاهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللهَ اللهَ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللهُ إِلَى الإِسْلامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا».

فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَأَلْقَوُا السِّلاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَبَكَوْا وَعَانَقَ الرِّجَالُ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ"[1].

(1) رواه الطبري في التفسير (5/ 627).

وهذا درس عظيم للمسلمين: وهو أن المجتمع المسلم لا تدرأ عنه الفتن إلا إذا كان متحداً مجتمعا على الألفة، فلا أحزاب، ولا طوائف، ولا شقاق، ولا فراق، لأن تفريق الناس على أساس حزبي، وكل حزب تتبناه جماعة وطائفة من أكبر مقاصد أعداء الإسلام، ليسهل إشعال الفتن بينهم، وضرب بعضهم ببعض، ويمدهم بما يقوي معارضتهم لولاة أمرهم، ويُسهل لهم طريق الوصول إلى الحكم، ثم يكون هو في مأمن، يشتري الولاءات، ويساوم على الثروات، وينهب الخيرات!

ولذلك اشتد حرص النبي ﷺ على الجماعة والوحدة، فأمر بالصبر على جور الأئمة وإن بلغوا في الشر والظلم أي مبلغ ما داموا مسلمين، وحرّم شق الصف ونبذ الطاعة ومفارقة الجماعة حتى لا تتفرق الأمة وتكون لقمة سائغة لعدوها، فالتفرق فشل وضعف وذهاب ريح:

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا»[2].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَوْلُهُ ﷺ: «وَلا تَفَرَّقُوا» فَهُوَ أَمْرٌ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَأَلُّفِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَهَذِهِ إِحْدَى قَوَاعِدِ الإِسْلامِ"[3].

وعن وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[4].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَيْ اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اخْتَصَّ الأُمَرَاءُ بِالدُّنْيَا وَلَمْ يُوصِلُوكُمْ حَقَّكُمْ مِمَّا عِنْدَهُمْ وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ فِي الْحَثِّ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ وَسَبَبُهَا اجْتِمَاعُ كَلِمَةِ المسلمين فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ"[5].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»[6].

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم ح(1715).

(3) شرح صحيح مسلم (12/ 11).

(4) رواه مسلم ح(1846).

(5) شرح صحيح مسلم (12/ 225).

(6) رواه مسلم ح(1843).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هَذَا مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الإِخْبَارُ مُتَكَرِّرًا وَوُجِدَ مُخْبَرُهُ مُتَكَرِّرًا وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَلِّي ظَالِمًا عَسُوفًا فَيُعْطَى حَقَّهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَلا يُخْرَجُ عَلَيْهِ وَلا يُخْلَعُ بَلْ يُتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كَشْفِ أَذَاهُ وَدَفْعِ شَرِّهِ وَإِصْلاحِهِ"[1].

بل ذكر النبي ﷺ الدعاة على أبواب جهنم من الأئمة فقال حذيفة ﷺ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[2].

وفي هذا رد على من تحزب وانضم إلى فئة، وذلك أن النبي ﷺ ذكر حال الناس عند وجود الجماعة والإمام، وعند عدم ذلك، وبين الواجب على المسلم في كل حالة:

الأولى: أن يكون لهم جماعة وإمام، فالواجب: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

الثانية: أن لا يكون لهم جماعة ولا إمام وقد تفرق الناس إلى فرق وأحزاب، فالواجب: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا».

فالفِرق والأحزاب لا تجتمع مع وجود الإمام، وواجب الجميع لزوم الجماعة والإمام، وإن كان الإمام من دعاة جهنم لظلمه وضلاله وفسقه وفجوره، وهذا اللزوم والصبر يستمر إلى الموت: «وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الحَوْضِ».

وفي رواية: «فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ»[3].

وهذه الأوامر في كل إمام مسلم، فلا يشترط عدل الإمام وصلاحه بإجماع أهل السنة والجماعة.

فعن عَوْف بن مالِك الأَشْجَعِيَّ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[4].

وعن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ». قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[1].

---

(1) شرح صحيح مسلم (12/ 232).

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

(4) رواه مسلم ح(1855).

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لا نَسْأَلُكَ عَنْ طَاعَةِ مَنِ اتَّقَى، وَلَكِنْ مَنْ فَعَلَ وَفَعَلَ، فَذَكَرَ الشَّرَّ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا»[2].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَأَمَّا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَقِتَالُهُمْ فَحَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانُوا فَسَقَةً ظَالِمِينَ وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الأَحَادِيثُ بِمَعْنَى مَا ذَكَرْتُهُ وَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّهُ لا يَنْعَزِلُ السُّلْطَانُ بِالْفِسْقِ"[3].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بلغوا في الظلم أي مبلغ، ما أقاموا الصلاة، ولم يظهر منهم الكفر البواح، والأحاديث الواردة في هذا المعنى متواترة"[4].

وكل هذا وغيره يبين أهمية لزوم الجماعة واجتماع الكلمة، فالاتحاد والاجتماع نعمة من أكبر النعم، وسياج يحفظ الأمم، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لسويد بن غفلة: "يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنِّي لاَ أَدْرِي، لَعَلِّي لاَ أَلْقَاكَ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ أَمْرًا يُنْقِصُ دِينَكَ، فَقُلْ: سَمْعًا وَطَاعَةً، دَمِي دُونَ دِينِي، وَلاَ تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ"[5].

وقد منَّ الله تعالى علينا في هذه البلاد الطيبة بنعمة الجماعة والاتحاد، فاندرأت الفتن، وتآلفت القلوب، وعم الأمن، وتتابع الخير، وحل الرخاء، وحَقُّ هذه النعمة؛ أن تذكر وتشكر ويحافظ عليها.

قال الجُريري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِنَ الشُّكْرِ تَعْدَادُ النِّعَمِ"[6].

وقد قال ربنا تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11].

وتقدم: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ. وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»

وهذا الحديث مما يجب غرسه في القلب، ونصبه أمام العين، لاسيما ونحن نشاهد الدنيا وقد ماجت بها الفتن؛ ثورات وقلاقل، وأحزاب وتفرق، وخوف وذهاب أمن، ورعب وقتل ودم، وجوع وتشتت ومحن ...!

---

(1) رواه مسلم ح(1847).

(2) رواه الطبراني في الكبير (17/ 101) وابن أبي عاصم في السنة ح(1103).

(3) شرح صحيح مسلم (12/ 229).

(4) السيل الجرار (4/ 556).

(5) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح(34400) والخلال في السنة ح(54).

(6) رواه أحمد في الزهد ح(2145).

وليس هذا بغريب في آخر الزمان، فالفتن في ازدياد كلما دنا الناس من الساعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَغْشَيَنَّ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ»[2].

ومع كل هذا ونحن ولله الحمد في نعم لا تعد ولا تحصى، قد جُمعت لنا الدنيا بحذافيرها، وجُبيت لنا الخيرات بأنواعها، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[3].

فمن أَمَن في طريقه ومكان معيشته، ورُزق السلامة في بدنه، وحصل رغيف خبز قوت يومه، فقد حاز الدنيا، فكيف حال من انغمس في الأمن ليل نهار، وتوفرت له أسباب الراحة والصحة، وتوسعت عليه معيشته، وتنوعت عليه الأقوات؟!

فنعمة الأمن لا تعادلها نعمة، ولذلك كان أول دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام للبلد الحرام مكة: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: 35].

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَالابْتِدَاءُ بِطَلَبِ نِعْمَةِ الأَمْنِ فِي هَذَا الدُّعَاءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ، وَأَنَّهُ لا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِلاَّ بِهِ"[4].

والأمن في الحقيقة ثمرة من ثمرات الجماعة والوحدة، ولذلك اشتد اهتمام إمامنا الراحل زايد الخير والمؤسس الباني رحمه الله رحمة واسعة وهو الخبير العارف بالاتحاد ولم الشمل، وجعله أساس بناء هذه الدولة المباركة، وقد شاهد التفرق والضعف والفقر قبل قيام الاتحاد، فكان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الاتحاد يعيش في نفسي، وفي قلبي، وأعز ما في وجودي، ولا يمكن أن أتصور في يوم من الأيام أن أسمح بالتفريط به، أو التهاون نحو مستقبله".

ويقول: "إن الاتحاد هو السبيل الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار لشعبنا وحماية مقدراتنا وتوفير الحياة الأفضل لمواطنينا بما يكفل مواجهة الأطماع التي تحيط بنا من كل القوى المتصارعة".

ويقول: "إذا كنا في هذه الدولة نستقل سفينة واحدة هي سفينة الاتحاد.. فعلينا جميعاً أن نعمل على تحقيق سلامتها حتى تستمر مسيرتها وتصل إلى بر الأمان ولا يجوز أن نسمح بأي تهاون يعوق هذه المسيرة لأن نجاة هذه .. نجاة لنا ..

---

(1) رواه مسلم ح(1844).

(2) رواه الحاكم (4/ 485) وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح(1267).

(3) رواه الترمذي ح(2346) وابن ماجه ح(4141).

(4) تفسير الرازي (19/ 103).

وإذا فرض أن هناك من يحاولون إتلاف هذه السفينة فهل نسكت على ذلك، أبداً، بالطبع، لأنها إذا غرقت فلا أحد يضمن السلام لنا".

ونحن ولله الحمد نجني ثمار هذا الغرس، ولو بذلنا ما نملك في مقابل ذلك، مع لهجنا بالشكر والدعاء ما أدينا حق هذه النعمة، ومن أدرك الدولة قبل الاتحاد عرف قدر النعمة، وأقل الواجب المحافظة عليها، فلإن النعم يغيرها أصحابها، ويبدلها أهلها، وقد قال ربنا تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: 53].

وإن من أهم أسباب المحافظة على هذه النعمة:

1) القيام بطاعة الله وعبادته وترك معصيته:

فإقامة الدين أصل الاجتماع والاتحاد، قال تعالى: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

فإذا ذهب الدين ذهبت القوة، وحلت الفرقة، قال الله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: 46].

فجمع بينهما في مقام واحد، فقال أولا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

ثم ثانيا: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾.

ثم رتب على ذلك كله قوله: ﴿فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾.

وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم: 31-32].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا»[1].

فجمع بين الأمر بعبادة الله تعالى والنهي عن الشرك به، وبين الأمر بالاعتصام بحبل الله والنهي عن التفرق.

فأصل الاتحاد توحيد الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: 102 -103].

فبالدين والطاعة يحفظ الاتحاد، وقاعدة ذلك قوله ﷺ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»[1].

(1) رواه مسلم ح(1715).

وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : – وذكر منها – «وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[2].

فالطاعة والدين من أعظم أسباب المحافظة على الخير.

2) ذكر هذه النعمة وشكرها:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم:7].

وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: 11].

وتقدم: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ».

وحديث: «مَنْ أُبْلِيَ بَلاءً فَذَكَرَهُ، فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ».

فالنعم أضياف، وقِراها الشكر، وإن من شكرها؛ شكر المتسبب فيها، «وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ».

ورأس المتسببين في دولتنا المباركة إمامنا الراحل الشيخ زايد والشيخ راشد عليهما من الله الرحمة والرضوان، وجزاهما بما قدما رفيع الجنان، ثم من بعدهما خير الخلف الشيخ خليفة حفظه الله ورعاه وإخوانه وأعوانه من حكامنا الأماجد أولي الخير والإحسان حفظهم الله ووفقهم وسدد خطاهم، وقد قال نبينا ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»[3].

قال الطرطوشي رحمه الله: "كان العلماء يقولون: إذا استقامت لكم أمور السلطان فأكثروا حمد الله تعالى وشكره، وإن جاءكم منه ما تكرهون، وجهوه إلى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم، وأقيموا عذر السلطان"[4].

ومن حق الحاكم على رعيته ما قاله ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والتي منها:

"الأول: بذل الطَّاعَة لَهُ ظَاهرا وَبَاطنا.

---

(1) رواه أحمد ح(2763)، والترمذي ح(2516).

(2) رواه ابن ماجه ح(4019)، والحاكم (4/ 540) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح(106).

(3) رواه أبوداود ح(4843).

(4) سراج الملوك ص(151).

الثَّانِي: بذل النَّصِيحَة لَهُ سرًّا وَعَلانِيَة[1].

الثَّالِث: الْقيام بنصرتهم بَاطِنا وظاهراً ببذل المجهود فِي ذَلِك لما فِيهِ نصر الْمُسلمين وَإِقَامَة حُرْمَة الدّين، وكف أَيدي الْمُعْتَدِينَ.

الرَّابِع: أَن يعرف لَهُ عَظِيم حَقه، وَمَا يجب من تَعْظِيم قدره، فيعامل بِمَا يجب لَهُ من الاحترام وَالإِكْرَام، وَمَا جعل الله تَعَالَى لَهُ من الإعظام، وَلذَلِك كَانَ الْعلمَاء الأَعْلام من أَئِمَّة الإِسْلام يعظمون حرمتهم، ويلبون دعوتهم مَعَ زهدهم وورعهم وَعدم الطمع فِيمَا لديهم، وَمَا يَفْعَله بعض المنتسبين إِلَى الزّهْد من قلَّة الأَدَب مَعَهم، فَلَيْسَ من السّنة.

الْخَامِس: تحذيره من عَدو يَقْصِدهُ بِسوء، وحاسد يرومه بأذى، أَو خارجي يخَاف عَلَيْهِ مِنْه.

السَّادس: إعانته على مَا تحمله من أعباء الأمة ومساعدته على ذَلِك بِقدر الْمكنَة.

السابع: رد الْقُلُوب النافرة عَنهُ إِلَيْهِ، وَجمع محبَّة النَّاس عَلَيْهِ؛ لما فِي ذَلِك من مصَالح الأمة وانتظام أُمُور الْملَّة.

الثَّامِن: الذب عَنهُ بالْقَوْل وَالْفِعْل، وبالمال وَالنَّفس والأهل فِي الظَّاهِر وَالْبَاطِن، والسر وَالْعَلانِيَة".

وَإِذا وفت الرّعية بِهَذِهِ الْحُقُوق الْوَاجِبَة، وأحسنت الْقيام بمجامعها والمراعاة لموقعها، صفت الْقُلُوب، وأخلصت، وَاجْتمعت الْكَلِمَة وانتصرت"[2].

والقيام بحقوق السلطان علامة خيرية في الناس.

قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما عظَّموا السلطانَ والعلماءَ، فإذا عظَّموا هذين أصلح اللهُ دنياهم وأُخراهم، وإذا استخفُّوا بهذين أفسد دنياهم وأُخراهم"[3].

3) لزوم الجماعة والالتفاف حول الأئمة:

تقدمت الأدلة الآمرة بلزوم الجماعة، والناهية عن الاختلاف والتفرق، مثل:

«عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ».

«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

(1) علانية: أي عنده.

(2) تحرير الأحكام ص(64).

(3) تفسير القرطبي (5/ 260).

وقال ﷺ في التحذير من المفارقة: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَاسْتَذَلَّ الإِمَارَةَ لَقِيَ اللَّهَ وَلا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ»[1].

وعن عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْتَكِضُ»[2].

وعن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثَلاَثَةٌ لاَ تَسْأَلْ عَنْهُمْ رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِياً ... » الحديث[3].

قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة: اثنتان وسبعون هالكة، كلّهم يبغض السلطان، والناجية هذه الواحدة التي مع السلطان"[4].

ألا وإن من أهم الأمور التي تؤدي إلى مفارقة الجماعة:

أ) الاجتماعات السرية:

وهي في الحقيقة فخ نصبه إبليس يصطاد به الضعفاء، وأصحاب هذه التجمعات لو كان الذي عندهم حق لما احتاجوا إلى التخفي، فلا يستخفي إلا صاحب باطل لا يريد انكشاف حاله لكل أحد، وقد وصف النبي ﷺ أصحاب الحق الناجين بقوله: «عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[5].

كما حذر من السرية وأمر بالعلانية:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ: «اعْبُدِ اللَّهَ وَلا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَقِمِ الصَّلاةَ، وَآتِ الزَّكَاةَ، وَصُمْ رَمَضَانَ، وَحُجَّ الْبَيْتَ، وَاعْتَمِرْ، وَاسْمَعْ وَأَطِعْ، وَعَلَيْكَ بِالْعَلانِيَةِ، وَإِيَّاكَ وَالسِّرَّ»[6].

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: "إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَتَنَاجَوْنَ فِي دِينِهِمْ بِشَيْءٍ دُونَ الْعَامَّةِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى تَأْسِيسِ ضَلالَةٍ"[7].

---

(1) رواه أحمد ح(23283)، والحاكم (1/ 119) وصححه.

(2) رواه ابن حبان ح(4577) وأصله عند مسلم ح(4824).

(3) رواه أحمد ح(23943)، وابن حبان ح(4560).

(4) قوت القلوب (2/ 209).

(5) رواه مسلم ح(1923).

(6) رواه الطحاوي في المشكل ح(2658)، والحاكم (1/ 51)، وابن أبي عاصم في السنة ح(1070).

(7) رواه اللالكائي في الاعتقاد ح(251).

وفي رواية: "مَا انْتَجَى قَوْمٌ فِي دِينِهِمْ دُونَ جَمَاعَتِهِمْ إِلاّ كَانُوا عَلَى تَأْسِيسِ ضَلالَةٍ"[1].

ولا يلبسن عليك أحد بأن دعوة رسول الله ﷺ كانت سرية، فرسول الله ﷺ أُمر بالصدع والجهر بدعوته من أول الأمر، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: 94].

ولا بزعمهم تعليم العلم وتعلمه، قال البخاري رحمه الله: "بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ العِلْمِ وَذَهَابَ العُلَمَاءِ، وَلاَ تَقْبَلْ إِلاّ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ: «وَلْتُفْشُوا العِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ، فَإِنَّ العِلْمَ لاَ يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا»[2].

والواقع أنهم يتناجون في السر للتآمر، ويقرؤون الكتب الفكرية الحركية المشحونة بالضلال والتكفير والانحراف، وأصل هذه السرية بدأت من مسجد ضرار، وسترت بستار الدين، وكان أصحابه يحلفون الأيمان المغلظة: ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التَّوْبَة: 107].

"كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ صِفْ لِي الْفِتْنَةَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَاهَا رَأْيَ الْعَيْنِ فَكَتَبَ لَهُ لَوْ كُنْتُ شَاعِرًا لَوَصَفْتُهَا لَكَ فِي شِعْرِي وَلَكِنِّي أَصِفُهَا لَكَ بِمَبْلَغِ عِلْمِي وَرَأْيِي: الْفِتْنَةُ تُلَقَّحُ بِالنَّجْوَى، وَتُنْتَجُ بِالشَّكْوَى"[3].

وقال ابن أبي عاصم رحمه الله: "الإِمَامَ إِذَا بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا يَجْتَمِعُونَ عَلَى أَمْرٍ يَخَافُ أَنْ يَحْدُثَ عَنِ اجْتِمَاعِهِمْ مَا يَكُونُ فِيهِ فَسَادٌ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَيُوعِدَهُمْ فِي ذَلِكَ وَعِيدًا يَرهَبُونَ بِهِ"[4].

ب) التحزب:

وهو الخروج عن جماعة المسلمين وإمامهم إلى تجمعات أخرى تلتقي على مفارقة الجماعة والشذوذ عن الولاية الشرعية.

فأي تجمع على غير الإمام الظاهر ذي الشوكة يعتبر تحزبا بدعيا، والتحزب الحق جماعة واحدة اجتمعت على الولاية الشرعية وموالاة أهل الإيمان كلهم مع اتباع الشرع المطهر، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة: 56]، وما عدا ذلك فالإسلام منه بريء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(1) رواه أحمد في الزهد ح(1687).

(2) صحيح البخاري (1/ 31).

(3) الآداب الشرعية لابن مفلح (1/ 201).

(4) المذكر والتذكير ص(96).

فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159]، وقالت أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَلا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ، قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ"[1].

فالتحزب من أسباب مفارقة الجماعة، فلا يجوز لمؤمن أن يقيم حزبا في بلاد المسلمين يخرج به عن جماعتهم، ويفتات به على سلطانهم، وواجب المسلم إن كان ثَمَّ حاكم أن يعمل بقول نبيه ﷺ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

وإن كان لا جماعة ولا إمام فواجبه: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[2].

ج) مخالفة الشرع في طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال أبو الْبَخْتَرِي رحمه الله: "قِيلَ لِحُذَيْفَةَ: أَلا تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حَسَنٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ السُّنَةِ أَنْ تَرْفَعَ السِّلاحَ عَلَى إِمَامِكَ"[3].

وقال سعيد بن جبير لابن عباس ﷺ: "آمُرُ إِمَامِي بِالْمَعْرُوفِ؟ قَالَ: إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَقْتُلَكَ فَلا، فَإِنْ كُنْتَ وَلا بُدَّ فَاعِلاً فَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ» ، وَزَادَ أَبُو عَوَانَةَ: وَلا تَغْتَبْ إِمَامَكَ".

وفي رواية: "وَلا تَعِبْ إِمَامَكَ"[4].

وقاعدة هذا الباب: قول النبي ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلا يُبْدِهِ عَلانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلاَّ كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ»[5].

وفتح هذا الباب بالإنكار العلني وذكر معايب الولاة من أعظم أبواب الفتن التي تزرع الشر وتفرق الجماعة، قال أبو وائل: "قِيلَ لأُسَامَةَ أَلاَ تُكَلِّمُ هَذَا؟ – أي عثمان ﷺ– قَالَ قَدْ كَلَّمْتُهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا، أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفْتَحُهُ"[6].

أي: باب الفتنة.

ومن الجهل الاستدلال بحديث: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[7]، على الإنكار العلني على ولاة الجور، لأن الحديث مقيد بقوله: «عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»، وليس في العلن، فهو كالحديث السابق.

---

(1) اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف لأبي موسى المديني ح(139).

(2) متفق عليه.

(3) رواه البيهقي في الشعب ح(7098)، وابن أبي شيبة في المصنف ح(37613).

(4) رواه سعيد بن منصور في التفسير ح(746)، والبيهقي في الشعب ح(7186).

(5) رواه الطبراني في مسند الشاميين ح(977)، وابن أبي عاصم في السنة ح(1096) وصححه الألباني في تعليقه.

(6) متفق عليه.

(7) رواه أحمد ح(11143)، وابن ماجه ح(4011)، وأبوداود ح(4344)، والترمذي ح(2174).

د) اتباع الهوى وعدم الرجوع إلى العلماء أو الصدور عنهم:

وهذا وللأسف في زماننا ظاهر وكثير جدا، وهو سيما أهل الأهواء في كل زمان، قال ابن تيمية رحمه الله عنهم: "يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِمْ وَمَعْقُولِهِمْ وَمَا تَأَوَّلُوهُ مِنْ اللُّغَةِ؛ وَلِهَذَا تَجِدُهُمْ لا يَعْتَمِدُونَ عَلَى أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَلا يَعْتَمِدُونَ لا عَلَى السُّنَّةِ وَلا عَلَى إجْمَاعِ السَّلَفِ وَآثَارِهِمْ؛ وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعَقْلِ وَاللُّغَةِ وَتَجِدُهُمْ لا يَعْتَمِدُونَ عَلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورَةِ وَالْحَدِيثِ؛ وَآثَارِ السَّلَفِ وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى كُتُبِ الأَدَبِ وَكُتُبِ الْكَلامِ الَّتِي وَضَعَتْهَا رُؤُوسُهُمْ"[1].

ولذلك يتعلقون بالمشتبهات ويتركون المحكمات، ويحيون الشبه القديمة، التي أبطلها العلماء، وبينوا زيفها، ويقلد بعضهم بعضا، ويرددون ما لقنوا، قد أسلموا عقولهم لكبرائهم، فما زادوهم إلا غلا على مجتمعاتهم، ونفرة عن جماعتهم.

قال أيوب السختياني رحمه الله: "وَلا أَعْلَمُ مِنْ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ أَحَدًا إِلاّ وَهُوَ يُجَادِلُ بِالْمُتَشَابِهِ"[2].

وقال عنبسة بن سعيد رحمه الله: "مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلاّ غَلَّ صَدْرُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاخْتُلِجَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ"[3].

ومن قواعد العلماء في العلم قول الإمام أحمد رحمه الله: "إِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلّمَ فِي مَسْأَلَةٍ لَيْسَ لَكَ فِيْهَا إِمَامٌ"[4].

هـ) الطعن في الأئمة وسبهم والنيل من حرمتهم والجرأة عليهم:

وهذا أول الشر والفتن والخروج، لأنه يفضي إلى كراهية الأئمة وسقوط منزلتهم، ثم الخروج عن جماعتهم والخروج عليهم، ولذلك أجمع الصحابة رضي الله عنهم على النهي عنه، قال أنس ﷺ: "كَانَ الأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْهَوْنَا عَنْ سَبِّ الأُمَرَاءِ"[5].

وفي رواية: "نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: لا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلا تَغُشُّوهُمْ، وَلا تَعْصُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الأَمْرَ إِلَى قَرِيبٍ"[6].

وعند ابن أبي عاصم وغيره[7]: "وَلا تَبْغَضُوهُمْ"، بدل: "وَلا تَعْصُوهُمْ".

وقال أبو الدرداء ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الْمَرْءِ طَعْنُهُ عَلَى إِمَامِهِ"[1].

---

(1) مجموع الفتاوى (7/ 119).

(2) دلائل النبوة للبيهقي (6/ 546).

(3) ذم الكلام للهروي (5/ 127).

(4) سير أعلام النبلاء (11/ 296).

(5) السنن الواردة في الفتن للداني ح(141).

(6) شعب الإيمان للبيهقي ح(7117).

(7) ح(1015).

وقال أبو إدريس الخولاني رحمه الله: "إِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ عَلَى الأَئِمَّةِ؛ فَإِنَّ الطَّعْنَ عَلَيْهِمْ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَيْسَ حَالِقَةُ الشَّعْرِ، إِلاّ أَنَّ الطَّعَّانِينَ هُمُ الْخَائِبُونَ، وَشِرَارُ الأَشْرَارِ"[2].

وقال حذيفة ﷺ: "لا يَمْشِيَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ شِبْرًا إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيُذِلَّهُ، فَلا وَاللَّهِ لا يَزَالُ قَوْمٌ أَذَلُّوا السُّلْطَانَ أَذِلاّءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[3].

والآثار في هذا كثيرة جداً.

و) تصدر أهل اللوثات الفكرية ومن ليس بأهل للعلم والإفتاء:

فينخدع بهم الناس، وتلتبس عليهم الأمور، ومن أشراط الساعة السنوات الخداعات، تنقلب فيها الموازين، وتنعكس فيها الحقائق، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[4].

وفي رواية: «قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»[5].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[6].

وفي رواية عن عوف بن مالك ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنِينَ خَدَّاعَةً يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الْمَرْءُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[7].

وهذا أمر ظاهر مشاهد، وهو من جملة الفتن التي ابتلي بها أهل آخر الزمان.

---

(1) شعب الإيمان للبيهقي ح(8959).

(2) الأموال لابن زنجويه ح(38).

(3) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح(38603).

(4) رواه أحمد، ح(7912) وقال الأرناؤوط: "حديث حسن".

(5) رواه أحمد، ح(8459) وقال ابن كثير: "وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه". البداية والنهاية (19/ 277).

(6) رواه أحمد، ح(13289) وقال ابن كثير: "جيد قوي تفرد به أحمد من هذا الوجه". البداية والنهاية (19/ 119).

(7) رواه البزار، ح(2740). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ح(1887،2253).

قال الراغب رحمه الله: "لا شيء أوجب على السلطان من رعاية أحوال المتصدّين للرياسة بالعلم فمن الإخلال بها ينتشر الشر ويكثر الأشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر"[1].

ز) التواني في القضاء على بذور الخروج:

كما قالوا:

أرى فتنة هاجت وباضت وفرّخت
ولو تركت طارت إليها فراخها!!

لما أحيط بآخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد من قِبل العباسيين قال لبعض جلسائه: "أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ لَهَفِي عَلَى أَيْدٍ مَا ذُكِرَتْ، وَنِعَمٍ مَا شُكِرَتْ، وَدَوْلَةٍ مَا نُصِرَتْ. فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ تَرَكَ الْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ، وَالصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ، وَالْخَفِيَّ حَتَّى يَظْهَرَ، وَأَخَّرَ فِعْلَ الْيَوْمِ لِغَدٍ، حَلَّ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا"[2].

ولما أبطأ عن نصر بن سيار مدد الخلافة في الشام، وكان من أوفى الناس لبني أمية، كتب رسالة إلى مروان يناشده وكتب في كتابه:

أرى خلل الرماد وميض نارٍ
فيوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالزندين تورى
وإن الحرب أولها كلام
لئن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري
أأيقاظ أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهم نياما
فقل قوموا فقد حان القيام[3].

فالشر وأهله لا يُتساهل معه، قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المثبط عن الإمام بإثارة الفتن والطعن ونحو ذلك: "الواجب دفعه عن هذا التثبيط، فإن كف وإلا كان مستحقا لتغليظ العقوبة، والحيلولة بينه وبين من صار يسعى لديه بالتثبيط، بحبس أو غيره، لأنه مرتكب لمحرم عظيم، وساع في إثارة فتنة تراق بسببها الدماء، وتهتك عندها الحُرُم، وفي هذا التثبيط نزع ليده من طاعة الإمام"[4].

4) الابتعاد عن الفتن وإبعادها عن البلاد:

(1) فيض القدير (2/ 273).
(2) البداية والنهاية (13/ 266).
(3) البداية والنهاية (13/ 230).
(4) السيل الجرار (4/ 514).

هذا من أهم أسباب حفظ البلاد وأهلها وخيراتها، لأن الفتن إذا اشتعلت أحرقت ما حولها، وأذاقت الناس مر طعمها، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»[2].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَوْلُهُ: «مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا» أَيْ تَطَلَّعَ لَهَا، بِأَنْ يَتَصَدَّى وَيَتَعَرَّضَ لَهَا وَلَا يُعْرِضُ عَنْهَا، وَقَوْلُهُ: «تَسْتَشْرِفْهُ» أَيْ تُهْلِكْهُ، بِأَنْ يُشْرِفَ مِنْهَا عَلَى الْهَلَاكِ، يُقَالُ اسْتَشْرَفْتُ الشَّيْءَ عَلَوْتُهُ وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ يُرِيدُ مَنِ انْتَصَبَ لَهَا انْتَصَبَتْ لَهُ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ، وَحَاصِلُهُ أَنَّ مَنْ طَلَعَ فِيهَا بِشَخْصِهِ قَابَلَتْهُ بِشَرِّهَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: مَنْ خَاطَرَ فِيهَا بِنَفْسِهِ أَهْلَكَتْهُ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ مَنْ غَالَبَهَا غَلَبَتْهُ"[3].

ولذلك قاعدة الفتن عند العلماء: الفتن تجتنب ولا تجتلب.

والواجب: الوقوف سدًّا منيعًا أمام كل صاحب فتنة، وردم الفتن وردها، وتحذير الناس منها، وإن صغرت، وإلا انفتق ما لا يرتق، فإن كبار الأمور تبدوا صغارًا.

قال محمد بن بندار الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قُلْتُ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: إِنَّهُ لَيَشْتَدُّ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ: فُلانٌ ضَعِيفٌ، فُلانٌ كَذَّابٌ، فَقَالَ أَحْمَدُ: إِذَا سَكَتَّ أَنْتَ وَسَكَتُّ أَنَا، فَمَتَى يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ؟"[4].

والباطل إنما يقوى بالسكوت عنه، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة.

وهذا يجرنا إلى:

5) تعلم الحقوق الشرعية المتعلقة بالوطن وولاته، وتعليمها، وغرسها في قلوب الناس:

وهذا أعظم حماية للمجتمعات من الانزلاق في الانحرافات الفكرية، والتأثر بالشبه الخارجية، وبه تجف منابع الشر، ويُكبت أهل الزيغ.

فأسأل الله تعالى أن يحفظ علينا بلادنا وولاة أمرنا، ويديم علينا أمنه ونعمه، وأن يوزعنا شكره، ويوفقنا لطاعته، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(1) رواه أبو داود ح(4263)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(975).

(2) رواه البخاري، ح(8089)، ومسلم، ح(2886).

(3) فتح الباري (13/ 31).

(4) الكفاية للخطيب ص(46).

كان الفراغ من كتابة هذه الأسطر ليلة الخامس عشر من شهر الله المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية.

كتبه الفقير إلى عفو مولاه

محمد بن غيث أبو عبد الله

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتوالى الخيرات

المحتويات

وإن من أهم أسباب المحافظة على هذه النعمة: 10

1) القيام بطاعة الله وعبادته وترك معصيته: 10

2) ذكر هذه النعمة وشكرها: 11

3) لزوم الجماعة والالتفاف حول الأئمة: 12

ألا وإن من أهم الأمور التي تؤدي إلى مفارقة الجماعة: 13

أ) الاجتماعات السرية: 13

ب) التحزب: 14

ج) مخالفة الشرع في طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: 15

د) اتباع الهوى وعدم الرجوع إلى العلماء أو الصدور عنهم: 16

هـ) الطعن في الأئمة وسبهم والنيل من حرمتهم والجرأة عليهم: 16

و) تصدر أهل اللوثات الفكرية ومن ليس بأهل للعلم والإفتاء: 17

ز) التواني في القضاء على بذور الخروج: 18

4) الابتعاد عن الفتن وإبعادها عن البلاد: 18

5) تعلم الحقوق الشرعية المتعلقة بالوطن وولاته، وتعليمها، وغرسها في قلوب الناس: 19

سلسلة كتيبات شبكة بينونة

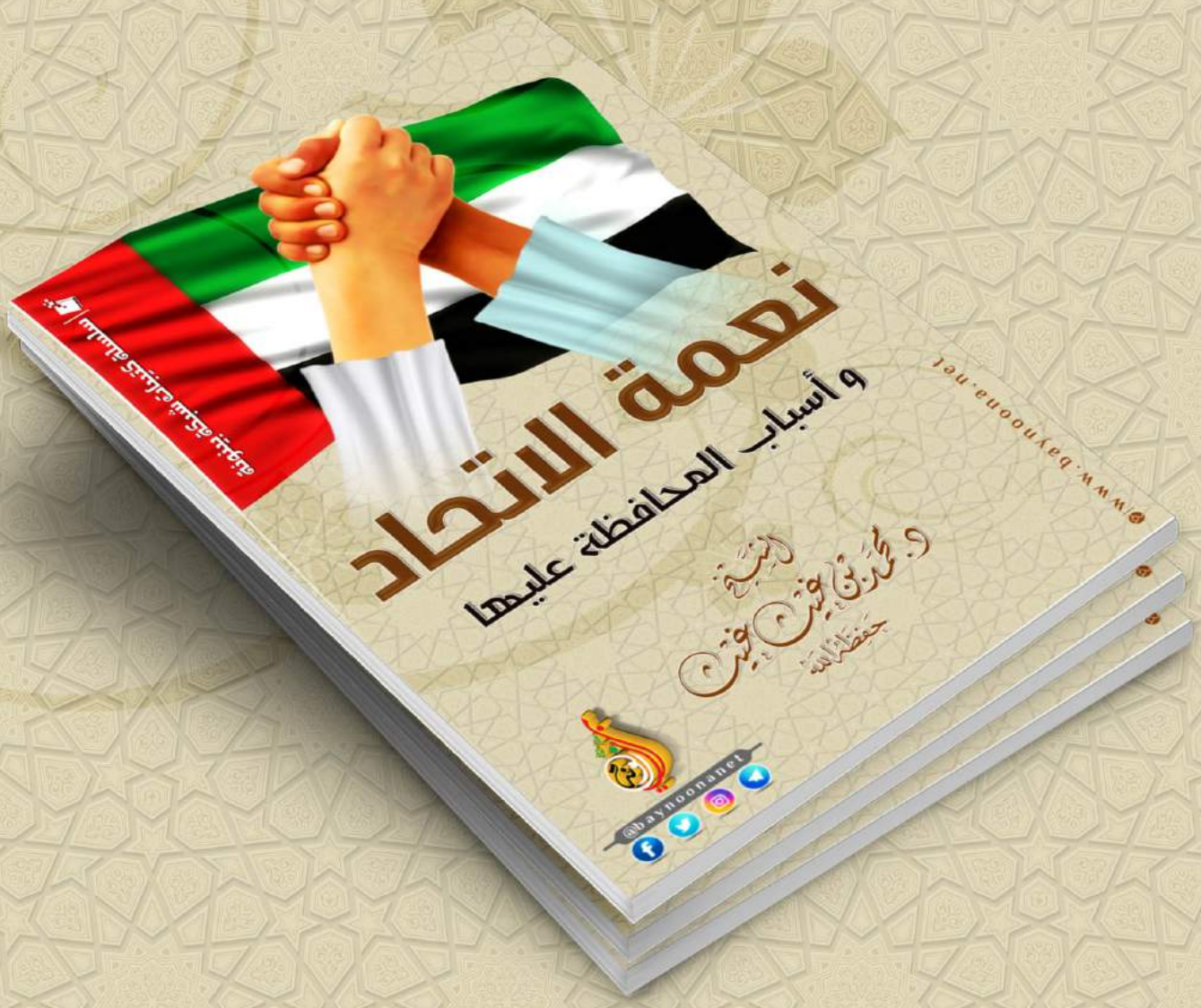

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة

الإمارات العربية المتحدة